



أوجاع العراق

كأنه لا يكفي العراقيين ما يعانون، فصار عليهم ان يفرضوا رقابة ذاتية على معاناتهم كرمى ل"الشارع العربي". وكأنه لا يكفي العراقيين ما ذاقوه من حكم استنظل الفكر القومي العربي ليقوم ديكتاتورية شخصية وعائلية لا تمت الى القومية الا بصلة الكذب، فبات عليهم السكوت على وجعهم درءاً لتهمة الخيانة التي يعاجلهم بها شعور قومي افنقر الى اي فكر. انت عراقي، اذن انت محكوم بألا تخرج من صمتك لغير التنديد بالعدوان وتمجيد المقاومة. انت عراقي، اذن انت متهم بالتخاذل والعمالة إن لم تبادر الى تبييض صفحتك سلفاً وتستغفر الله من الشيطان الاميركي.

نبالغ؟ من تابع المصيدة التي اعدت لفخري كريم على احدى الشاشات اللبنانية يدرك فداحة الانزلاق الذي تذهب اليه الحمية القومية عندما لا تكون مسنودة الى معرفة ووعي و... ذوق! فخري كريم كان احد قادة الحزب الشيوعي العراقي، هذا الحزب الجماهيري العريق الذي يصح فيه وصف الحزب الشهيد من كثرة ما واجه من عنف وقمع على يد البعث. وكريم نفسه كان من الذين عانوا الاضطهاد والتعذيب والاعتقال، وهو لم ينج بحياته الا بنجاحه في الفرار من السجن، فوجد نفسه بعد حين يتعرض لمحاولة اغتيال (في بيروت) خرج منها جريحاً. وهو، الى ذلك، لا يعيش منفاه المستديم في واشنطن او لندن، بل في دمشق، "قلب العروبة النابض" اذا كنتم تذكرون. يعني ان ظهوره في برنامج اعتاد تكريم كل ضيوفه حتى الترف، وإن كانوا من فناني الدرجة العاشرة، كان مناسبة لاكتشاف بعض اسباب "الاختلاف" العراقي.

والحق ان كل عراقي يستحق اليوم، في اضعف الايمان، ان ينصت اليه المشاهدون، لا ان يُساق الى محاكمة للنيات مثل تلك التي تضافر على اجرائها مباشرة على الهواء المذيع والمتصلون عبر الهاتف، ناهيك بالوزير القومي الصافي المتصل به، حتى وجد الضيف نفسه مضطراً الى ان يشهر عداؤه للسياسة الاميركية كمن يشهر ايمانه مكرهاً امام محاكم التفتيش. قد لا يكون الفخ الذي نُصب لفخري كريم اسوأ ما يمكن رصده في خضم التبسيط الشعبي الذي يملأ الشاشات، صوتاً وصورة. لكن الحادثة تحمل طابعاً نموذجياً سلبياً، ليس فقط من الزاوية المهنية ولكن خصوصاً من الناحية السياسية. فهي تنم في النهاية عن استدامة نزعة الاختزال التي دمّرت الفكر القومي، فحجّمته الى مجرد "شعور" لا طائل له على استيعاب الواقع المرجو تغييره. نزعة تريد ان تفرض على العراقيين، بكل اختلافاتهم، الا يذكروا من اوجاعهم الا وجعهم الاخير، بل نزعة تنكر على العراقيين حقهم في ان يختلفوا بين بعضهم البعض. انها الشعبوية التي عهدناها تقاتل بالتوكيل حتى آخر فلسطيني (وأخر لبناني)، وها هي اليوم تصر على ان تقاوم، ودائماً بالتوكيل، حتى آخر عراقي. انها العروبة حين تكره ذاتها. فهي باختزالها العراق الى ضحية عدوان خارجي، لا تعلن تواطؤها مع جلادها المحلي القديم فحسب، بل تمنع في تدمير نفسها.

فعندما تستصغر العروبة بطلها الراحل جمال عبد الناصر فتستخدم صورته في التظاهرات من اجل تبييض صور تُرفع جنبها لطاغية العراق (وطغاة آخرين)، تكون هذه العروبة، عروبة آخر زمان، تقول لشعب عربي كبير: حذار مني، فانا من يوجعك وانا من يفرض عليك الصمت على وجعك! فيما بدأت الحرب الاميركية (البغيضة، للتذكير) تتجه نحو فصلها الختامي، يجدر ربما بدعاة النخوة



العروبية ان يفكروا في ما حصل مع شعب الكويت، وإن لم يكن ذلك تبريراً لاستضافة القوات الاميركية التي تغزو العراق والتهليل لها، وان يتساءلوا عما اذا كانوا يريدون فعلاً ان يذهب الشعب العراقي، بعد ان يقع تحت الرعاية الاميركية، الى ما وصل اليه الكويتيون.

سمير قصير



Id-Reference	03-Pr-000682	
Media	(Support)	HC
Title		أوجاع العراق
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠٣/٤/٤ 4/4/2003
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	فخري.كريم – جمال.عبد.ناصر
	Locations	عراق – لبنان – اميركا – بريطانيا – سوريا – فلسطين – كويت
	Dates	
	Themes	عراق – عرب – حزب.شيوعي.عراقي – عروبة – محاولة.اغتيال.فخري.كريم.في.بيروت – معاناة.شعب.عراق – غزو.كويت – شارع.عربي – فكر.قومي.عربي – عرب – ولايات.متحدة – حزب.بعث.عراقي – حرب.اميركية.على.عراق
Subject		